بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 42 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:10\05\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

قبل أن نبدأ بالآية الثالثة عشر، بقي لدينا وقفتان مع ما تقدم من الآيات المرتبطة بالجزاء:

الوقفة الأولى: ترجع إلى السر في هذا الترتيب، حيث إن الترتيب كان فوقاهم، ولقاهم، وجزاهم، فلماذا كانت الوقاية قبل الاستقبال والاستقبال قبل المكافأة والجزاء؟ هذا سؤال يرتبط بهذا الترتيب السياقي لهذه النتائج الثلاث المترتبة على عمل الأبرار.

سابقاً بينت وجه تقدم الوقاية على التلقية والاستقبال، لكن لم نبين الوجه في تأخر الجزاء. فإذاً هناك طائفة من الناس أحسنوا وقاموا بأعمال البر انتظاراً ليوم الجزاء ويوم الدين، وهناك باشرهم الباري تبارك وتعالى بالوقاية ثم بالاستقبال ثم بالجزاء.

باعتقادي أن هذا الترتيب في غاية الدقة، وهذا ليس شيئاً يمكن لأمثالي أن يشهد به، إذ هذا هو سر إعجاز القرآن الكريم، غاية الأمر في بعض الأحيان قد نفهم بعض النكات الإعجازية، وفي كثير من الأحيان لا نفهم هذه النكات الإعجازية.

طبيعة الإنسان المنتقل من عالم إلى آخر، وأيُّ عالم ننتقل إليه، عالم في هذه الدنيا كان هناك وعيد بالنسبة إليه، كان هناك تخويف بالنسبة إليه، فأول شيء يهم ذلك المنتقل أن يقي نفسه مما يخاف منه، فجاءت الوقاية ابتداء، هذا أمر يريح ذلك المنتقل. كم إذا أرن الانتقال من بلد إلى آخر أو من بيت إلى آخر، فهناك منغصات في ذهنك، فهذه الشركة أو المؤسسة التي تنقلك إلى ذلك المكان الآخر تقول لك مباشرة تلك المنغصات حذفناها، فتتصل إلى ذلك المكان الآخر في حالة من الراحة والطمأنينة.

فيكون حذف تلك المنغصات قبل ورودك، بطبيعة الحال يلزم تقدم الوقاية؛ لأنها قبل الوصول، على عملية الاستقبال. فهذا الوجه في تقدم الوقاية على الاستقبال.

وأخر الجزاء باعتبار أنه يرتبط بالاستقرار، تستقر بجنة، لباسك من حرير، هذا إنما يكون في مرحلة الاستقرار. فمن الطبيعي حينئذ أن يتأخر عن مرحلة الاستقبال، الاستقرار بعد الاستقبال.

فهذا هو السر في هذا الترتيب الموجود في هذه الأمور الثلاث.

الوقفة الثانية: قلّ من تعرض لها من علماء التفسير، ترتبط بعلاقة الجزاء بفعل الأبرار.

الآية الشريفة تقول: ﴿وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ وهذا من الأمور المهمة في بلاغة الكلام، أيٌّ واحد جائع فمقتضى هذا الجوع أن يُستقبل بما لذ من الطعام، لا أن الجائع يكون جزاؤه أن تعطيه لباساً، فلا بد أن يتناسب الجزاء مع عمل هؤلاء.

الفخر الرازي في تفسيره يقول كي ينسجم الجزاء مع عمل هؤلاء لا بد لنا أن نتصرف في كلمة الإطعام ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ﴾ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ﴾ فلا يقصد من الإطعام مجرد تقديم الطعام، بل المقصود من الإطعام هو مواساة هؤلاء بإطعامهم وبكسوتهم. إما أن تقول الإطعام استعمل مجاز في الأعم من الإطعام والكسوة وإما أن تقول يوجد حذف، إنما نطعمكم ونكسوكم؛ كي يتناسب مع جنة وحرير، فإن الحرير لباس وكسوة، والجنة فيها طعام، فمقتضى المقابلة بين العمل والجزاء نحمل الإطعام على الأعم من الإطعام الكسوة.

هذه التفاتة جيدة منه، أن نقايس بين العمل وبين الجزاء. لكن هذا الوجه الذي ذكره لا نوافق عليه؛ إذ فيه أولاً: أن حمل الإطعام على ما يشمل الكسوة، من جهة خلاف ظاهر اللفظ، ومن جهة أخرى خلاف الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآيات، فالروايات بتمامها تقول إنهم قدموا لهم الطعام الذي يريدون أن يفطروا عليه، فلا توجد رواية ذكرت الكسوة.

فإذاً مضافاً أنه هذا خلاف ظاهر العبارة، لا يتناسب مع شأن النزول.

ثانياً: إذا أردنا أن ننحو هذا المنحى على طريقته، يجب أن نقول الإطعام لا يراد منه فقط الأعم من الإطعام والكسوة، بل يجب أن نضيف الإسكان؛ لأن الجنة هي مكان سكن هؤلاء، وإذا أردنا أن نتوسع أكثر فننظر إلى أنواع النعم في هذه الجنة. فإذا كان الطريقة التي اتبعها الفخر الرازي صحيحة ينبغي أن لا نُقصر النظر على الإطعام والكسوة؛ لأن الجنة هي مكان لسكن.

إذاً ما أفاده الفخر الرازي مدخول بما عرفت.

الصحيح أن يقال إن هذا الجزاء المذكور في الآية المباركة على طريقة ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها﴾[1] وعلى طريقة ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾[2] هؤلاء أطعموا فجاء الجزاء إطعام وزيادة؛ لأن الجنة فيها إطعام فنوافق مع الفخر الرازي في هذا، لكن حياهم بتحية أحسن، أطعمهم وكساهم واسكنهم إلى سائر ما فيه من النعم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر. وهذا طبيعة جزاء المولى تبارك وتعالى بغير حساب.

فإذاً هذا التناسب بين العمل والجزاء هو تناسب ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها﴾[3] هذا تناسب على طريقة ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهاوَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون﴾[4].

فإذاً الصحيح في بيان هذا التناسب بين عمل هؤلاء وبين الجزاء هو هذا الأمر، وليس ما الفخر الرازي.

---

[1] النساء: 86
[2] النمل: 89
[3] النساء: 86
[4] النمل: 89